إشكالية (ء ، ا) دراسة صوتية

عادل نذير بيري*

مجيب سعد أبو كطيفه*

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين وبعد:

فلم أجد بُدَّاً وأنا أعتزم الشروع في دراسة الهمزة وما يرافقها من اختلاف في وجهات النظر عند علماء العربية القدامى والمحدثين من أنْ أعنون بحثي هذا بالصورة التي هو عليها الآن في الوجه الأولى من غلاف البحث ((إشكالية (ء، ا) دراسة صوتية) إذ اضطرني الأمر إلى الاكتفاء بالرمز (ء) إشارة إلى الهمزة، وبالرمز (ا) إشارة إلى الألف .

أمَّا سبب ذلك فهو مدار الاشغولة التي تَكَفَّلَ البحث بالوقوف على تضاعيفها في سطور هذه الورقات؛ وذلك أنَّ علماء العربية القدامى والمحدثين اختلفوا في الهمزة، هل تُعَدُّ حرفاً مستقلاً بنفسه قائماً بذاته، فيكون عدد حروف العربية (٢٩) حرفاً ؟ أو أنه يرادف الألف فيكون (الهمزة والألف) وجهين لعملة واحدة، ويكون عدد حروف العربية بذلك (٢٨) حرفاً ؟.

وإذا كانت الهمزة تُعَدُّ حرفاً مستقلاً فهل لها رمزٌ خاصٌ بها هو (ء) الذي يُعَبَر عنه برأس العين الصغيرة ؟ أو أن رمزها الأصيل هو (أ) كما هو المتبادر في عَدِّنا حروف كلمة (أحمد) أنها تتألف من همزة و حاء وميم ودال ؟

هذا ما وقَفْنَا عليه المبحث الأول من بحثنا هذا، الذي جعلناه في محورين:

تناولنا في المحور الأول (الفرق بين الهمزة والألف)، وفي المحور الثاني تناولنا (الهمزة بين وجود الرمز وعدمه).

ثُمَّ إنَّ افتقار علماء العربية القدماء إلى المختبرات المدعمة بالأشعة فوق البنفسجية والأجهزة العلمية الحديثة أدى إلى اختلافهم في تحديد مخرج الهمزة الذي أدى إلى الاختلاف في تحديد صفات الهمزة من حيث (الجهر والهمس)، و (الشدة والرخاوة) وغير ذلك من الصفات الصوتية؛ لذا أفردنا المبحث الثاني من هذا البحث لدراسة مخرج الهمزة التي تَكَفَّل المحور الأول من المبحث الثاني بإيضاحه والوقوف عليه.

---

* أستاذ مساعد دكتور في كلية التربية / جامعة كربلاء .
* مدرس مساعد في مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة .

أمَّا صفات الهمزة فقد اقتصرنا فيها على صفتي (الجهر والهمس)، موقّفين لها المحور الثاني من المبحث الثاني.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على طائفة من المصادر القديمة والمراجع الحديثة فضلا عن البحوث التي نُشرت في المجلات العلمية المحكمة داخل القطر وخارجه.

وكان من الصعوبات التي واجهت البحث كثرة الآراء وتشعبها إلى درجة يصعب فيها التوصل إلى رأي توفيقي يكون فيصلاً بين هذه الآراء؛ إذ لكل منهم حجته وأدلته التي يحتاج كل دليل منها إلى مبحث خاصٍ للوقوف عليها مؤيداً أو منكراً، فموضوع البحث متشعب الاطراف متعدد الجوانب وليس في ظننا انه يخلو من الأخطاء فحسبنا اننا بذلنا فيه ما وفّقنا الله تعالى له وما التوفيق إلى من عنده والحمد لله

المبحث الأول

مقاربة فونولوجية في الفرق بين الهمزة والألف

لدراسة الهمزة والوقوف على كنهها وتحديد مخرجها وصفاتها واستكناه دلالتها، لابُد من المرور ولو بشيء من الإجمال على حرف (الألف)؛ للتماس المباشر بينه وبين الهمزة ، بحيث صار من الصعب تحديد الفرق بينهما؛ ذلك أن المتتبع في بعض ما كتبه علماء العربية يجد أنَّ في تسمية الهمزة ألفاً دلالة على أنهم كانوا لا يميزون بين كونها (ء) أو (أ) ، أي : بين أن ترسم رأس عين أو حرف مد، يقول الزجاج: ((إذا أضفت الممدود إلى مكني كتب المرفوع بالواو بعد الألف والممدود بالياء بعد الألف، كقولك : هذا عطاؤك، وكأنَّ حكم المنصوب أن يكتب بألفين، أحدهما: الأولى، والأخرى التي تكون بدل الهمزة، كما كان حكم المجرور بالياء والمرفوع بالواو وكان سبيلك أن تكتب: رأيت كساءك بالفين ....))(١).

يتضح من كلام الزجاج أنه سمَّى الألف والهمزة (ألفين) وكررهما في كلامه، وأراد في كون (كساءك) كتب بألفين (الهمزة) المنفردة والألف قبلها أي: انها في الأصل (كساك) ثم وضعت همزة منفردة : (كساءك)(٢). ((وهذا يعني أنهم كانوا لا يتحرجون من أن يطلقوا على الهمزة مصطلح الألف، وربما فعلوا ذلك في إطلاق مصطلح الهمزة على الألف أيضا))(٣). والجمع بين المصطلحين على دلالة واحدة هو حرف الألف المهموز أو غير المهموز أمر متوارث عند عرب ما قبل الإسلام، فقد عُرِف أن الخط النبطي الذي يعدُّه بعض الباحثين أساسا لتطور الخط العربي الموروث كان يستخدم صورة الألف دالا على صوت الهمزة، وانتقل ذلك إلى العربية الباقية وأصبح رمزا كتابيا معروفا فيها(٤). ومع إننا ننطق (أمجد) بهمزة فميم فجيم فدال لكننا حين نذكر حروف (أمجد) نقول: (ألف ، ميم، جيم ودال) فنسمي الهمزة ألفا؛ لذا وجد البحث ضرورة ماسة لتوضيح العلاقة بين الهمزة والالف وبيان الفرق بينهما في

محور خاص وضعناه تحت عنوان الفرق بين الهمزة والالف ثم برزت ضرورة أخرى لاثبات حقيقة الهمزة من حيث استقلالها برمز خاصٍ بها أو أنها كانت من دون رمز وهذا ما تكفل باثباته المحور الثاني من هذا المبحث .

ـ المحور الأول: الفرق بين الهمزة والألف

حظي حرف الألف بعناية علماء العربية المتقدمين؛ لما يثيره من قضايا تتعلق بالمصطلح والنطق، والرسم والوظيفة؛ ذلك أنَّ الألف ذات طبيعة خاصة، تختلف فيها عن بقية الرموز الحرفية الأخرى التي قبلت الانفصال عن حركتها، كما في باء (بيت) وراء (رأس)، وجيم (جمل). فقد غدت مشكلة الألف تستحق الدراسة والتقويم ضمن إطار منهج تاريخي علمي متكامل ولاسيما أن الألف تمثل النواة الأصيلة لدراسة الصوت الجسيم الذي يتألف فيه الصائت والصامت في وحدة صوتية طبيعية هي نقطة الانطلاق في فهم كل الأبجديات اللغوية المعروفة في عالم اليوم(٥).

وصوت الألف الذي وُصِفَ بأنه: يحدث من انفجار شديد يقوم خلاله لسان المزمار بفتح الوترين الصوتيين وإغلاقهما بشكل مفاجئ في وجه تيار الهواء القادم من الرئتين، كما يحدث في بداية السعال وهو حكاية صوتية لهذا المقطع اللغوي. ((وهذه الألف الموصوفة بهذا الشكل ليست بحرف على الإطلاق ولا يمكن أن تكون لا من ناحية المخرج ولا من ناحية الصفة وإنما هي مقطع صوتي يرافق إخراج جميع الأصوات اللغوية الأخرى المحدودة المخرج والصفة والتي تأتلف معه في الكلمة العربية))(٦). ولما كانت هذه الألف مقطعا صوتيا ظهرت لها وظائف صوتية وصرفية ونحوية وقاموسية وكتابية انعكست سلبا على طريقة رسمها وأحدثت إرباكا ما بعده إرباك لمتلقي هذه اللغة ومعلميها في آن واحد(٧).

وفي العربية لا توجد ألف واحدة بل ألفات متعددة، ولكلٍّ واحدة منها وظائف وصفات تختلف فيها عن الأخرى ولكنها مجموعة في رسم كتابي واحد أدى إلى إشكاليتها وعدم الوصول إلى تعريف دقيق لها.

وقد كتب علماء العربية كتبا عديدة في الألف وما يتعلق بها من القضايا التي وجدت صدى لها في الدراسات القرآنية للترابط الوثيق بين لغة القرآن الكريم والدراسات اللغوية العربية ذلك الترابط الذي تجلى في جوانب عدة شملت قراءة القرآن الكريم ومعانيه وإعرابه ورسمه.

وقد خَصَّ عدد من علماء العربية المتقدمين حرف الألف برسائل مستقلة منها:

١ـ كتاب الألفات، تأليف أبي بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد (ت ٣٢٠هـ)(٨).

٢ـ كتاب الألفات، تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري(ت ٣٢٨هـ)(٩)

٣ـ كتاب ألفات الوصل والقطع، تأليف أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي(ت٣٦٨هـ)(١٠)

٤ـ كتاب الألفات، تأليف ابي عبد الحسين بن احمد بن خالويه(ت٣٧٠هـ)(١١)

٥ـ كتاب الألفات في القرآن، تأليف أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ)(١٢)

٦ـ الألفات ومعرفة أصولها، تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ).

ويأتي تأليف كتاب (الألفات) للداني بعد تأليف الكتب الخمس المشار إليها، ولم يصل إلينا من تلك الكتب سوى كتاب ابن الانباري(١٣)، وابن خالويه(١٤). و((يتميز كتاب الداني عنهما بوضع التبويب، والتركيز على الألفات في القرآن الكريم مع عناية لجانب النطق وتعليل وجوهه من غير استطراد او إطالة مما يجعله أقرب إلى الكتب التعليمية))(١٥). ومما ينبغي الإلماح إليه ((ان الألف - اسما ورمزا – لم تكن في المراحل الأولى ما يسمى أخيرا بألف المد او ما ندعوه باصطلاحنا بالفتحة الطويلة (aa) كما في نحو: قال، ويكاد يكون من المؤكد ان الفتحة الطويلة (الف المد) لم يكن لها علامة كتابية في هذه المرحلة شأنها في ذلك شأن الحركات القصيرة كلها (الفتحة والكسرة والضمة) والحركتين الطويلتين الأخريين الضمة والكسرة - واو المد ويائه- uu ، ii))(١٦)وهذا ما أشار إليه الدكتور كاصد الزيدي في قوله: ((على أن الكتابة العربية قبل الإسلام ، قد تطورت في الفترات الأخيرة من عمرها، فرسمت (الألف الطويلة) في نهاية الكلمات المنتهية بألف إلا أن ذلك التطور لم يتحقق لها وسط الكلمات))(١٧). وهذا ما وجدناه في كثير من الألفاظ القرآنية من قبيل: (الرحمٰن)، (الصلوٰة)، (رزقنٰهم)، (مسٰكين)، ونحوها من الألفاظ التي وردت خالية من حرف الألف إذ وردت في حشوها.

وقد اختلف علماء العربية في الألف ، أهو حرف مستقل عن (الهمزة) فيكون عدد الحروف العربية تسعة وعشرين حرفاً أم هو حرف مرادف للهمزة ومن ثَمَّ يكون عدد الحروف العربية ثمانية وعشرين؟ .

وقد انقسم علماء العربية في هذه المسألة على قسمين:

١ـ القسم الأول: يتمثل بما ذهب إليه ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء والذي يرى فيه أن الألف يرادف الهمزة، كما نقل ذلك عنه السيوطي حيث يقول: ((يرى ـ أي الفراء ـ ترادف الهمزة والألف، فيقول: الهمزة هي الأصل، والألف الساكنة هي الهمزة تُرِكَ همزها))(١٨).

فالفراء يرى أن الهمزة هي الحرف الأصل المستقل بنفسه في حروف الهجاء العربية أما الألف فهي عنده حرف فرعي غير مستقل بنفسه. وعلى هذا فَعِدَّة الحروف كما يراها الفراء ثمانية وعشرون حرفاً. وهذا الرأي الذي تبنَّاه أبو العباس المبرد. وهذا ما نقله ابن جني عنه قائلا: ((إنَّ أبا العباس كان يعدُّ حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفا وجعل الباء أولها ويدع الألف من أولها ويقول: هي همزة))(١٩). بيد أن ابا العباس خالف الفراء في جعل الهمزة هي الأصل والألف هي الفرع.

فالمبرد يرى أن الألف هي الأصل ويُسقِط الهمزة من حروف الهجاء؛ لأنها كما تقول عبارته التي أوردها ابن جني نقلا عنه: ((... لا تثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقلة فلا أعتدها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة، وقد ردَّ عليه أبو الفتح عثمان بن جني بأن العبرة في إثبات

الحروف بالنطق لا بالخط؛ لوجود اللفظ قبل الخط، وإن الهمزة موجودة في اللفظ كغيرها من الحروف، وانقلابها في بعض أحوالها لعارض كتخفيف أو إبدال لا يخرجها عن كونها حرفا، ألا ترى أن انقلاب غيرها في بعض أحواله لعارض لا يخرجه من كونه حرفاً(٢٠).

وهنا نرى أن الدكتور كمال بشر يرى أن المبرد قد وقع في خطأ واضح حينما خلط في عبارته هذه بين مستويين: مستوى النطق ومستوى الكتابة وهو يعلل تركه للهمزة وعدم ذكره لها في الألف باء بتغير صوتها وعدم استقرارها على حال واحدة(٢١).

وقد ذهب ابن جني الى أن الألف هي صورة الهمزة(٢٢)، وأكد رأيه هذا بتقديم دليلين أعتمدهما النحاة من بعده:

اولهما: أن الهمزة لو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب الفاً على كل حال، يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعاً لا يمكن فيه تخفيفها، ولا تكون فيه الا محققة، لم يجز أن تكتب الا ألفاً، مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة(٢٣).

وثانيهما: أن كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه، فإذا قلت: (جيم) فأول حروف الحرف (جيم)، وإذا قلت (دال) فأول حروف الحرف (دال) وكذلك إذا قلت (ألف) فأول الحروف التي نطقت بها (الهمزة)(٢٤).

٢ـ القسم الثاني: ويمثله جمهور النحاة واللغويين في عَدِّهم الألف حرفاً مستقلاً بنفسه والهمزة حرفًا مستقلاً بنفسه أيضاً ومن ثَمَّ يكون عدد الحروف تسعة وعشرين حرفاً. وهذا ما أكده ابن خالويه في قوله: ((فإن قال قائلٌ: أخبرني عن هذه الهمزة التي في أوائل الأفعال ألف هي أم همزة ؟ فالجواب في ذلك إنها همزة بإجماع البصريين والكوفيين، وإنما يُعَبَّر عنها بالألف تقريباً الى المتعلم، إذ كانت ألفاً في الخط))(٢٥).

قال ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني في الباب الأول من كتابه: ((باب ذكر ألفات الوصل والقطع في الأفعال... وكُلُّهُنَّ في الحقيقة همزة غير ألف الوصل وحدها، وإنما سمين ألفات مجازاً واتساعاً لكون صورهن صورة ألف))(٢٦). بيد أن الدكتور غانم قدوري الحمد يرى: ((أن ما ذهب إليه هؤلاء العلماء من أن الهمزة سُميت ألفاً مجازاً واتساعاً؛ لأنها رُسِمتْ برمز الألف، تعليلاً يخالف الحقيقة التاريخية التي تشير إلى أن الألف هو الاسم الأصل للهمزة))(٢٧).

فهو يرى أن الألف الذي هو الحرف الأول من حروف الأبجدية يدل في الأصل على الهمزة، وقد أثبت ذلك قائلا: ((فحين نُعَدِّدُ الحروف: ألف باء تاء، أو ألف باء جيم ...الخ فإننا نريد بالألف (الهمزة)، لكن مصطلح الألف أستعمل في مرحلة لاحقة للدلالة على حرف المدِّ في مثل: كان ودعا وكاتب ونحوها، وهو ما يُسَمِّيه دارسوا الأصوات في زماننا بالفتحة الطويلة))(٢٨)مستدلاً على ذلك بقول الرضي ((لفظة

الألف كانت مختصة بالهمزة))(٢٩). وهو الرأي الذي تبنَّاه الدكتور كمال بشر في قوله: ((كانت الألف تطلق في الأصل ... على ما عُرِفَ في مرحلة تاريخية متأخرة نسبياً باسم الهمزة ... والرمز الأصلي لهذا الصوت هو (ا) بدون رأس العين الصغيرة (ء) فوقه أو تحته))(٣٠).

معنى هذا أن الدكتور كمال بشر يوافق جمهور النحاة واللغويين في عدِّ الألف حرفاً مستقلاً بنفسه والهمزة حرفاً مستقلاً بنفسه أيضا بيد أنه يرى ((أن الألف ـ اسما ورمزا ـ لم تكن في المرحلة الأولى ما يسمى أخيرا بألف المد أو ما ندعوه في اصطلاحنا الفتحة الطويلة (aa)، كما في نحو(قال)))(٣١) وإنما أطلقت أصالة على حرف الهمزة وينجلي هذا بوضوح في قوله: ((ولا يظنن ظان أن العرب في المراحل الأولى لم يكونوا يعرفون الهمزة بوصفها صوتاً، أو ان الهمزة صوت حديث في اللغة العربية. إنَّ الهمزة من أصوات العربية منذ التاريخ المعروف لنا. ولكن هذا الصوت لم يُسَمَ بالهمزة في المراحل الأولى، وإنما كان يسمى ألفاً ورمزه (ا)))(٣٢). لذا نجده يسوق الأدلة التي تثبت ما ذهب إليه من أن الألف هي رمز (الهمزة) في الأصل ويرى أن الأدلة على ذلك كثيرة بيد أنه ذكر منها ثلاثة أدلة نوجزها هنا باختصار:(٣٣)

١ـ من خواص الأصوات العربية إن قيمها الصوتية يُعَبَّر عنها دائما بصدر أصواتها ثم يستشهد بقول ابن جني: ((إن كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه. ألا ترى أنك إذا قلت: جيم فأول حروف الحرف (جيم)، وإذا قلت: دال، فأول حروف الحرف (دال) ... وكذلك إذ قلت: ألف، فأول الحروف التي نطقت بها الهمزة))(٣٤). ويستشهد بقول حفني ناصف: ((للحروف العربية خواص لم تجتمع في غيرها من اللغات الأخرى. منها أن مسمياتها دائما في صدر اسمائها، فصدر كلمة ألف (ء) وصدر كلمة باء (ب) ... وهكذا باقي الحروف))(٣٥).

٢ـ تاريخ الألف باء العربية يدل على أن (الألف) هو في الأصل اسم الهمزة وهو رمزها كذلك. يظهر ذلك من الترتيب القديم للأبجدية، ذلك الترتيب الذي يظهر في أبجد هوز حطي كلمن... فالرمز الأول في أبجد هو الألف رسما ولكنه الهمزة نطقاً. والمعروف أن الألف العربية (ا) هي الألف الفينقية ( ) وهو صوت يقابل ما يعرف عندنا الآن بالهمزة(٣٦).

٣ـ وهنا نرى الدكتور بشر يستشهد بقول ابن جني : ((اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة))(٣٧).

والذي يبدو أنَّ ما ذهب إليه أصحاب القسم الأول من إسقاط الهمزة من الأبجدية المعجمية أو عدِّها ترادف الألف هي دعوى خطرة جدًا ولاسيما أنها تُلغي وجود حرفٍ كاملٍ يُعَدُّ أساساً لكثير من الألفاظ التي وردت في العربية سواء أكان في أولها أو وسطها أو أخرها مفتوحة كانت أو مكسورة أو مضمومة

ومن ثَمَّ فإن إلغائها من الأبجدية المعجمية يخلُّ بنظامها الصوتي والتركيبي على مستوى اللفظة في حال كونها منفردة أو في حال تركيبها في جملة.

ومن ثمَّ نجد ما ذهب إليه أصحاب القسم الثاني في كون الألف يُعدُّ حرفاً مستقلاً بنفسه أيضاً رأياً راجحاً إلا إننا لا نتفق مع ما ذهب إليه بعض النحاة واللغويين في كون الألف في مراحلها الأولى كانت مختصة بالدلالة على الهمزة.

أمَّا ما قدَّمه الدكتور كمال بشر من أدلة تثبت ذلك فيمكن مناقشتها والوقوف عندها ولا سيما انه استشهد بالدليل الأول والثالث بما ذهب إليه ابن جني حينما قال: ((اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة)). وعليه يمكن عدُّ النقطة الأولى والثالثة دليلاً واحداً. ونقول في معرض الرد على هذا الدليل أنَّ ابن جني يُشير إلى قضية معقدة جداً وشائكة في الدرس الصوتي الحديث وهي مسألة كيفية النطق بالهمزة وتحديد مخرجها، وقد تكفل المبحث الثاني من بحثنا هذا في الوقوف عليها وتفصيل القول فيها.

أمَّا ما ذكره في الرأي الثاني وهو قوله: إن تاريخ الألف باء العربية يدلُّ على أن الألف في الأصل اسم للهمزة لا ألف المد، وهو رمزها كذلك، وهنا نضع خط تحت قوله: ((رمزها كذلك)) إذ أن معنى ((رمزها)) أي أن تاريخ الألف باء يثبت أنَّ رمز الهمزة كان ألفا. ويؤكد ما ذهب إليه بقوله: ((يظهر من الترتيب القديم للأبجدية، ذلك الترتيب الذي يظهر في أبجد هوز حطي كلمن .... فالرمز الأول في أبجد هو الألف رسماً ولكنه الهمزة نطقاً))(٣٨).

وأضع خطاً أيضاً أسفل قوله: ((فالرمز الأول)) متسائلا عن الدليل الذي يثبت أن لفظة (أبجد) كُتِبَت على هذه الشاكلة، وأستفهم قائلاً: الا يحتمل انْ تكون هذه اللفظة كُتِبَت على الصورة الآتية (ءبجد) ؟!.

وهنا ظهرت حاجة ملحَّة حَدَتْ بالباحثين أن يفردا محوراً يتناولان فيه مسألة الهمزة من حيث إستقلالها برمزٍ خاصٍ بها في الأبجدية العربية أو أنها كانت عائمة من دون رمز، وهذا ما سينجلي لنا في المحور الثاني.

المحور الثاني: الهمزة بين الرمز الخطي وعدمه

كان العرب سبَّاقين إلى الكتابة التي عبَّروا بها عن شؤون حياتهم المختلفة وصوَّروا ما يحيط بهم بإسلوب يصور ما كانوا عليه أصدق تصوير.

وقد عرفت الأمة العربية الكتابة من قبل الإسلام بقرون، وقد حفل كتاب الله العزيز بكثير من الألفاظ والمعاني التي تدلُّ على الكتابة وحروفها وأدواتها، ومن ذلك أن بعض السور تبدأ بالحروف ((ألم - ألمص - ألمر - كهيعص - طسم - ص - حم - ق - ن)).

وهذه بعض حروف العربية التي نزل بها القرآن الكريم فضلا عن ورود كلمات في القرآن الكريم تدلُّ على معرفة العرب الكتابة مثل: ((كتب))، ((الكتاب))، ((الصحف))، ((الورق))، ((القلم))، ((الخط)).

إنَّ لورود هذه الكلمات في القرآن الكريم برهان ساطع ودليل قاطع على معرفة العرب الكتابة قبل الإسلام فضلا عن ما ورد في الشعر الجاهلي. وكان لا بُدَّ للكتابة من رموز تعبر بها عن الحروف، فكان الخط الذي مرَّ بأدوار مختلفة حتى وصل إلى قمة دقته وجماله على يد أبن مقلة وابن البواب ومن جاء بعدهما من الخطاطين(٣٩).

ومما لا ريب فيه أن القرآن الكريم يُعدُّ وثيقة صادقة في تاريخ العربية يحكي قصة تطورها عبر الآباد البعيدة، ولولاه لكان الباحثون يضربون في دهماء ليلٍ من التخرصات والظنون في معرفة ذلك التاريخ والتطور. ثُمَّ إنه يفصح عن تاريخ الثقافة العربية للأمة قبل الإسلام، وبهذا يمكن نفي الرأي السائد في أمية العرب.

ثُمَّ إن وجود آلاف الرقم من ألواح الطين ومثلها كتابات المسند والنقوش العربية تقف دليلاً على معرفة العرب للقراءة والكتابة(٤٠).

إلاّ أنَّ القراءة والكتابة لم تكن آنذاك شائعة شيوعها بعد ظهور الإسلام وسطوع نوره، إذ كان الكاتبون قلة(٤١). ((ومما وصل إليه المستشرقون بعد قراءة النقوش الشمالية القديمة أن الخط العربي انتقل من اليمن إلى الحجاز عن طريق القبائل اليمنية النازحة من الجنوب إلى الشمال كبني معين وكندة وكلب والأوس والخزرج))(٤٢).

وأيًا ما كان الموطن الأول لنشوء الخط فإن الإقرار بوجود الخط ومعرفة القدماء به يُثبت أنَّ العرب كانوا قد وضعوا لكل حرفٍ رمزاً خاصاً به يميزه عن غيره من الأحرف الأخرى وما يهمنا من هذه الإطافة أن نبين موقف القدماء والمحدثين من القول بوجود رمزٍ كتابيٍ خاصٍ بـ (الهمزة) أو عدم وجوده.

إذ أنَّ بعض علماء العربية القدماء والمحدثين قد شككوا في كون الهمزة ذات رمز كتابي معروف في العربية منذ الوهلة الأولى لنشوء هذا الحرف.

فمن علماء العربية القدماء نجد المبرد يذهب إلى أن الهمزة ليست ذات رمز وحجته في ذلك انها تسقط من حروف الهجاء؛ لأنها لا تثبت في الخط على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة.

ومن ثَمَّ فهو لا يعدُّها مع الحروف التي أشكالها محفوظة(٤٣). وقد وافقه على هذا الرأي ابن درستويه(٤٤)، والأزهري(٤٥)، ومن المحدثين الدكتور ابراهيم أنيس الذي قال: ((الهمزة: رغم الاعتراف بها كصوت أساس في كثير من لغات العالم لم تحظ برمز خاص بها في رسم تلك اللغات))(٤٦). وقوله هذا يؤكد إصراره على كون الهمزة لم تحظ برمز خاص بها في الوهلة الأولى من وجودها لا في اللغة العربية ولا في اللغات الأخرى بل ويؤكد رأيه في عدم وجود رمز خاص للهمزة في العربية في قوله ((والهمزة

رغم شيوعها في اللغة العربية لم يرمز لها الرسم العربي القديم برمز خاص ككل الأصوات الساكنة))(٤٧).

ومن المحدثين الذين تبنوا هذا الرأي الدكتور أميل بديع يعقوب(٤٨)، والدكتور كمال بشر الذي يرى أن الهمزة لم يكن لها رمزٌ، وإن الذي ابتكر لها الرمز هو الخليل بن احمد الفراهيدي، ونلمس هذا في قوله: ((ابتكر الخليل بن احمد علامة مميزة للهمزة هي عبارة عن رأس عين صغيرة (ء)، فأخذت هذه العلامة الجديدة تلعب دورها في تصوير صوت الهمزة))(٤٩).

ثم يذكر الدكتور كمال بشر السبب الذي دفع الخليل إلى ابتكار هذا الرمز بالذات هو ((لأنه أحسَّ بقرب مخرج الهمزة من مخرج العين))(٥٠). ثم يذكر الدكتور كمال بشر السبب الذي دفع الخليل إلى وضع رمزٍ خاصٍ للهمزة وهو ((محاولة تجنب اللبس الناشئ عن استعمال الألف في تصوير الفتحة الطويلة بالإضافة إلى تمثيله الهمزة رسماً))(٥١).

وقد استنتج الدكتور كمال بشر من ذلك ((إن الهمزة نطقاً كانت تكتب دائما بالألف قبل

هذه المرحلة أما بعد ابتكار الرمز الجديد (ء) فالأحداث تشير إلى أن الهمزة صارت تصور بهذا الرمز ولكن في أشكال مختلفة: فهذا الرمز الجديد إما أن يكتب على ألف أو ياء أو واو أو على لا شيء(٥٢). بيد أن الدكتور كمال بشر لم يحدد الزمن الذي استعمل فيه اسم الهمزة للدلالة على ذلك الصوت المعروف بالوقفة الحنجرية، إذ قال: ((ليست لدينا نصوص تحدد تحديداً دقيقاً بداية ظهور هذا الاسم بوصفه مصطلحاً فنياً يطلق على الوقفة الحنجرية. ولكن من المحقق أن هذا الاسم بهذا المعنى كان معروفاً أيام الخليل، وربما قبل زمنه بل ربما امتدت بداية استعمال هذا المصطلح في هذا المعنى الجديد إلى زمن الخلفاء الراشدين))(٥٣).

وقد انبرى أكثر من عالم من علماء العربية القدماء والمحدثين للرد على رأي من يرى أن الهمزة لم تكن ذات رمزٍ خاصٍ بها محتجين بأن الحرف العربي حظي بأهمية بالغة؛ لِما أولاه العرب والمسلمون للحرف من منزلة قرُبت من القداسة؛ لارتباط الحرف بكتاب الله القرآن العزيز.

وإن الرسم الكتابي في العربية منذ أقدم عصورها حتى يومنا هذا يمثل تاريخاً متصل الجذور بالكتابة العربية في داخل الجزيرة العربية وفي خارجها ولاسيما الأصقاع التي خرجت إليها الموجات العربية كالعراق وبلاد الشام، وهي الأصقاع التي احتفظت لنا بأبجديات مختلفة المواضع كـ (الأوكريتية الكنعانية)، و(الفينيقية)، ثم التي جاءت بعدها كـ (الأبجدية الآرامية)(٥٤)، وهي أبجدية تحتفظ بصوت الهمزة وتضع له رسما كتابيا معيناً.

وهذا يدحض القائلين بعدم وجود رمز خطي للهمزة في العربية القديمة التي اطلق عليها المستشرقون اسم (السامية)(٥٥)، ((فالنقوش التي عُثر عليها في (زبد)، (حران)، (النمارة)، (ام الجمل) وفي ما بقي من

آثار في الثمودية والصفوية من لهجات الجزيرة العربية صورٌ من رسم الألف والهمزة على الرغم من بعض الاختلاف في رسمها تدل على أصالة هذا الحرف في أساسيات الحروف العربية التي توارثناها في الأبجدية))(٥٦).

وقد أكد جان كانتينو وجود الهمزة رمزا وصوتاً في السامية عموماً وفي العربية خصوصاً ونلمس هذا في قوله: ((كان في السامية حرفاً شديداً من أقصى الحلق وهو الهمزة ....وقد ضعف هذا الحرف في اللغة الآرامية.... وفَقَدَ تقريباً كل قيمته الحرفية وخصوصاً في آخر الكلمة حيث لم يُستعمل إلا للدلالة على الحركات وخلافاً لذلك فإن العربية القديمة قد احتفظت احتفاظا كاملا أو يكاد بهذا الحرف الشديد الأقصى حلقي))(٥٧).

وذهب الدكتور عبد الصبور شاهين الى أن لفظ الهمزة ليس في أصله علما على صوت من أصوات اللغة، وإنما هو وصف لكيفية نطقية لا تختص في ذاتها بصوت معين، ثم غلب إطلاقه على الصوت المعروف(٥٨) وقد أثبت رأيه هذا مستعينا بالدلالة اللغوية للفظة همز التي تعني الضغط مستشهدا بقول ان منظور : ((الهمز مثل الغمز والضغط، ومنه الهمز في الكلام لانه يُضْغَط، وقد همزت الحرف فانهمز))(٥٩)

ورسم الهمزة في الأبجدية العربية القديمة كان قد اتخذ أشكالاً وصوراً اتحدت في التصويت، وتفاوتت بعض الشيء في الرسم، وهي على الأشكال الآتية(٦٠):

١- رُسِمت في العربية القديمة قريبة من رأس الثور (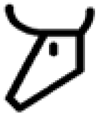)، وكنت هذه الصورة قد احتفظت بها الفينيقية من الكنعانيات.

٢- رُسِمت في العبرية من الكنعانيات(   )، فهي أشبه بشفرتي المقص.

٣- رُسِمت في الأبجدية الآرامية (   )، فهي أشبه بواحدة من شفرتي المقص.

٤- رُسِمت بالنبطية: (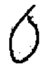) بدائرة بيضوية وفي طرفها من الأعلى نبرة صغيرة(٦١).

٥- ثم آلت في النتيجة إلى رسمها في العربية: (ء)، عبارة عن رأس عين صغيرة.

وهذا يُثبت أن للهمزة رمزاً خاصاً بها، وقد ظهرت لهذا الرمز في اللهجات القديمة التي ينسبها المستشرقون إلى السامية رسوماً متقاربة في الصورة، مختلفة ببعض سمات كل رسم منها بحسب ما أخذت عليه اللغة، وبحسب ما اعتاده المتقدمون في رسم حروف لغتهم أو لهجاتهم(٦٢).

والذي يتتبع هذه الرسوم يلاحظ أن هناك تطوراً لرمز الهمزة في هذه الأبجديات وإن القرب في الرسم واضحاً، وإن ما استقرَّ عليه رسم الهمزة فوق ألف المد برأس حرف العين

(أ) هو أيضاً صورة من صور هذا التطور الذي أصاب هذا الحرف عبر تأريخه الطويل في الأبجديات القديمة المنبثقة من الجزيرة.

وفي هذا رَدٌ على رأي من يرى أنَّ الألف ـ اسما ورمزا ـ كانت (تطلق في الأصل .... على ما عُرِفَ في مرحلة تأريخية متأخرة نسبياً باسم الهمزة.... والرمز الأصلي لهذا الصوت هو (ا) بدون رأس العين الصغيرة (ء) فوقه أو تحته))⁽٦٣⁾.

وأما ما ذهب إليه المبرد من عدم وجود رمز لـ (الهمزة) محتجاً على ذلك بأنها تسقط من حروف الهجاء وليست لها صورة مستقرة فقد بيَّنا في المحور الأول من هذا البحث رَدَّ ابن جني عليه مستدلاً على وجود وإثبات الهمزة بأن العبرة في إثبات الحروف بالنطق لا بالخط؛ لِوجود اللفظ قبل الخط، و (الهمزة) موجودة في اللفظ كغيرها من الحروف، وانقلابها في بعض أحوالها لعارض كتخفيف أو إبدال لا يخرجها عن كونها حرفاً مستقلاً⁽٦٤⁾.

ويرى الدكتور رشيد العبيدي أن القول بأن الهمزة ليست ذات رمز هو قولٌ يحتاجُ إلى توثيق علمي دقيق ومصدر يؤكد هذا الإدعاء⁽٦٥⁾.

المبحث الثاني:

المحور الأول: مخرج الهمزة:

المخرج: هو مكان النطق الذي يحدث فيه التصويت، ويدعى أحياناً بنقطة النطق، حيث يحدث الاعتراض حبساً أو تضييقاً كما في الأصوات الصامتة التي تُحَدَّد أساسا عن طريق المخرج ودرجات الانفتاح وصفات النطق⁽٦٦⁾.

وتحديد مخارج الحروف وصفاتها هو عمود الدراسة الصوتية اللغوية، كما إنه هو الذي يفسر ظواهر الإبدال والاستثقال والتصاقب وغيرها من الظواهر الصوتية⁽٦٧⁾.

وقد اختلف علماء العربية القدامى والمحدثون في تحديد مخرج الهمزة، وقد أدى تشعب الآراء إلى الاختلاف في تحديد صفات الهمزة من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق والانفتاح وغيرها من الصفات الصوتية.

وقد اعتمد علماء العربية القدامى على طريقة النطق في تحديد مخرج الحرف، وإنَّ افتقارهم إلى الأجهزة العلمية الدقيقة والمختبرات المختصة التي تمكن الدارس من الوقوف على الموضع الذي ينبلج منه الحرف وتبيين المواطن التي يمر بها، والعقبات التي تعترضه فتعيق حركته وتمنعه من المرور في موضع من المواضع منعاً باتاً أو تضييق عليه مساره أو تجعله يخرج حراً طليقاً من دون أن يعترض مساره عائق أدى كل هذا إلى اختلاف علماء العربية في تحديد مخرج الهمزة. وقد انقسموا على ثلاثة أقسام:

١ـ القسم الأول: ويمثله الخليل ومن نحا نحوه، وهم يرون أن مخرج الهمزة من أقصى الحلق، وإن الهمزة هوائية أو إنها من الجوف على حدِّ تعبيرهم(٦٨) .

قال الزمخشري: ((روى الليث عن الخليل ان الألف والواو والياء والهمزة جوف؛ لانها تخرج من الجوف ولا تقع في مدرج من مدارج الحلق))(٦٩).

وأقصى الحلق هو أبعده مما يلي الصدر، وهو المخرج الأول من مخارج الحروف العربية الستة عشر عند سيبويه ومن تابعه(٧٠). وهو المخرج الثاني عند الخليل، وأكثر النحويين والقرَّاء ومنهم ابن الجزري(٧١)، وكذلك عند ابن سينا(٧٢).

وقد وافقهم على هذا الرأي من المحدثين جان كانتينو الذي يرى ((أن هذا الحرف حرف شديد أقصى حلقي))(٧٣).

وإنَّ إخضاع هذا الرأي إلى ما توصل إليه العلم الحديث من أجهزة مختبرية دقيقة يوضح أنهم قد جانبوا الصواب في وصف مخرج الهمزة، وفي تقدير موضع نطقها(٧٤).

فـ ((الهمزة)) ليست هوائية بالمعنى الذي أرادوا وهو ((كون الهواء يخرج حراً طليقاً دون اعتراض حال النطق بها؛ لأنَّ الهواء يُقابل باعتراض تام في موضع الحنجرة))(٧٥).

وقد علل الدكتور كمال بشر الخطأ الذي وقع فيه الخليل بقوله: ((ويمكن تعليل هذا الخطأ الذي وقع فيه الخليل ومن تابعه بأنه حين نطقها لمعرفة طبيعتها لم ينطقها وحدها، وإنما نطقها متلوة بحركة، فبدت كما لو كان هواؤها حراً طليقاً، على حين أنَّ حرية الهواء انما تنسب إلى الحركة المصاحبة للهمزة لا إلى الهمزة ذاتها)))(٧٦)

٢ـ القسم الثاني: ويمثله سيبويه وابن جني، وهو رأي أغلب اللغويين القدامى، وهم يرون أنّ مخرج الهمزة هو الحنجرة، وهي سابقة للحلق(٧٧).

فسيبويه بذلك يخالف استاذه الخيل الذي يرى أنَّ (العين) هي أقصى حروف الحلق لا الهمزة. وقد نقل ذلك السيوطي عن الفضل بن سلمة الكوفي، إذ قال: ((ذكر صاحب العين أنه بدأ كتابه بحرف العين لأنها أقصى الحروف مخرجا. إذ قال: والذي ذكره سيبويه إن الهمزة أقصى الحروف مخرجا... ولو قال بدأت بالعين لأنها أكثر في الكلام وأشدُّ اختلاطا بالكلام لكان أولى))(٧٨).

وقد وافقهم على هذا الرأي من المحدثين الدكتور محمود السعران(٧٩). بيد أنَّ الدكتور كمال بشر يرى أن ما ذهب إليه سيبويه وابن جني من أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق هو قول غير دقيق ((إذ الهمزة ليست من الحلق وإنما هي من الحنجرة وهي سابقة للحلق))(٨٠).

ويرى إنه يمكن قبول رأيهم هذا بافتراض واحد ((وهو انهم ربما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها وتكون الحنجرة حين إذ هي المقصودة بأقصى الحلق))(٨١)

٣ـ القسم الثالث: ويتمثل بما ذهب إليه الدكتور ابراهيم أنيس الذي يرى أن مخرج الهمزة هو المزمار نفسه، إذ قال: ((أما مخرج الهمزة المحققة فهو من المزمار نفسه، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة))(٨٢).

وقد وافقه على هذا الرأي من المحدثين الدكتور محمد حسن(٨٣).

وقد توصل الدكتور حسام النعيمي إلى رأي توفيقي يرى فيه أن علماء العربية القدامى والمحدثين لم يختلفوا في تحديد مخرج الهمزة، إذ قال: ((أما مخرج الهمزة عند المحدثين فقد جعله بعضهم من أقصى الحلق موافقاً ما عليه العلماء العرب وعبر عنه بعضهم بأنه من المزمار نفسه، وبعضهم بأنه من الحنجرة، والمزمار كما هو معلوم في أعلى الحنجرة، وسبق أن ذكرنا إمكان شمول لفظ الحلق عند القدامى الحنجرة أيضاً وعلى هذا فلا خلاف في وصف الهمزة))(٨٤).

وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

المحور الثاني: صفات الهمزة

أدى اختلاف علماء العربية في تحديد مخرج الهمزة إلى اختلافهم في تحديد صفات الهمزة من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة وغير ذلك من الصفات الصوتية.

وسنقتصر في بحثنا هذا على اختلاف علماء العربية في صفتي الجهر والهمس.

يبدو أن ارتباط الهمزة بالألف في أذهان القدماء أدى إلى اختلافهم في طبيعتها، فهي تارة حرف صحيح، أو هي حرف علة أو شبيهة بحرف العلة(٨٥)، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب بل أدى تعداه إلى الاختلاف في صفاتها إذ إن الهمزة عند علماء العربية القدامى صوت مجهور، وهذا ما ذهب إليه سيبويه وابن جني وابن يعيش(٨٦).

أما المحدثون فقد اختلفوا في تحديد صفة الهمزة من حيث الجهر والهمس وقد انقسموا على قسمين:

القسم الأول: ويتمثل بما ذهب إليه هفنر(٨٧)، وكانتينيو(٨٨)، والدكتور تمام حسان(٨٩)، والدكتور عبد الرحمن أيوب(٩٠)، وهم يرون أن الهمزة صوت مهموس.

٢ـ القسم الثاني: ويتمثل بما ذهب إليه دانيال جونز(٩١) والدكتور ابراهيم أنيس والدكتور كمال بشر والدكتور محمود السعران(٩٢)، وهم يرون أن الهمزة هي صوت لا مهموس ولا مجهور.

وقد ذهب الدكتور عبد الصبور شاهين الى أنه لا تعارض بين كلا الرأيين، ((فكلاهما قد نفى عن الهمزة صفة الجهر، ولكن كلا منهما أصدر حكمه بناء على نظرة الى الحنجرة تختلف عن نظرة الآخر))(٩٣).

فدانيال جونز قد عَدَّ ((للحنجرة ثلاث وظائف: (الاحتباس)، وذلك في الهمزة وحدها، و(الانفتاح دون الذبذبة) وذلك في المهموسات، و(الانفتاح مع الذبذبة) وذلك في المجهورات، وبذلك تكون الهمزة صوتاً لا هو بالمجهور وزلا هو بالمهموس؛ لأن وضع الهمزة لحظة النطق بها مغاير لوضعها حالة الجهر أو الهمس))(٩٤).

أما هفنر فقد عَدَّ ((للحنجرة وظيفتين: ذبذبة الاوتار الصوتية (وهي صفة الجهر)، وعدم ذبذبتها (وهي صفة الهمس)، ويدخل في حالة عدم الذبذبة حالة الاحتباس في الحنجرة وذلك في الهمزة))(٩٥). ويبدو أن الذين ذهبوا الى أن الهمزة مهموسة قد أخذوا بهذا الرأي.

والذي يظهر أن الاختلاف في صفة الهمزة من حيث (الجهر والهمس) بين القدامى والمحدثين نتيجة الاختلاف في مفهوم(الجهر الهمس) .

إذ ان مفهوم (الجهر) عند سيبويه هو ((حرف اشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت))(٩٦).

أما (المهموس) فهو: ((حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس ،وانت ترى ذلك بأنه قد يمكن تكرير الحرف مع جري الصوت نحو: ككك، ههه))(٩٧).

فضابط الجهر والهمس عند علماء العربية القدامى إنما هو جريان النفس مع الحرف أو توقفه عن الجريان. فإذا جرى النفس مع النطق بالحرف كان مهموساً، وإذا منع النفس من الجريان حتى ينتهي النطق بالحرف كان مجهوراً.

وبهذا الضابط فرق علماء العربية القدامى بين المهموس والمجهور(٩٨).

وصوت الهمزة لا يمكن معه جري النفس؛ لأنه يتكون أصلا من سدٍّ مجرى النفس ثم انفتاحه في الحنجرة؛ لذا ذهب القدامى إلى أن الهمزة صوت مجهور.

ورأيهم هذا لم يسلم من النقد؛ ذلك أن الدكتور بشر يرى أن علماء العربية القدامى لم يُوَفَّقوا في هذا الرأي، وإنه لا يمكن وصف الهمزة بالجهر. وحجته في ذلك انه قد جرت عادت الخليل رحمه الله عند نطقه للحروف لمعرفة طبيعتها أن يفتح فاه بالألف أي (الهمزة) ثم يأتي بالحرف المراد نطقه ساكناً هكذا: (إبْ)، (إتْ)، مثلا حين يريد المطق بـ (الباء) و (التاء)(٩٩).

معنى هذا أن الخليل حينما نطق الهمزة ((أتى بهمزتين: الأولى هي الهمزة التي يأتي بها مع أي حرف آخر، والثانية هي الهمزة التي يريد نطقها لمعرفة خواصها))(١٠٠).

فهو لم بنطق الهمزة وحدها وإنما نطقها متلوة بحركة. ولما كانت ((الحركة مجهورة ـ كما نعرف ـ فأثَّر جهر الحركة على نطق الهمزة فوصفوها هي الأخرى بالجهر خطأ))(١٠١).

أما المحدثون فإنَّ ((المجهور)) عندهم هو: ((الحرف الذي يتحرك الوتران الصوتيان عند النطق به))(١٠٢). و (المهوس) هو: ((الحرف الذي لا يحرك الوترين الصوتيين في خروجه))(١٠٣).

ومن ثمَّ فإن المحدثين قد اختلفوا في وصف الهمزة فذهب بعضهم إلى أنَّ الهمزة صوتا مهموساً(١٠٤)؛ لأن الوترين لا يتذبذبان حين النطق بها إذ انها تخرج بانطباق الوترين الصوتيين، و((هو هذا الاطباق طبعا دون ارتعاش الاوتار الصوتية لذا كانت الهمزة مهموسة))(١٠٥).

وهذا الرأي غير دقيق في نظر الدكتور كمال بشر؛ وذلك ((إنهم لا حظوا المرحلة الثانية من نطق الهمزة وهي المرحلة التي تصاحب الانفجار، ففي هذه الحالة تكون الاوتار في وضع الهمس))(١٠٦). فالدكتور بشر يرى أن هذا السلوك منهم غير دقيق بالنسبة لطبيعة الهمزة، إذ ((الهمزة العربية لا يتم نطقها بهذه المرحلة الثانية وحدها، وإنما تتكون وتتم بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة انطباق الوترين، وفيها ينضغط الهواء من خلفهما فينقطع النفس، والمرحلة الثانية مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثاً انفجاراً مسموعاً))(١٠٧).

ومن ثمَّ فإنَّ نطق الهمزة يتكون من مرحلتين متكاملتين ((ولا يمكن الفصل بينهما أو النظر إلى أحدهما دون الآخر))(١٠٨).

لذا ذهب الدكتور ابراهيم انيس والدكتور كمال بشر والدكتور محمود السعران إلى أن الهمزة ليست مجهورة ولا مهموسة؛ لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ولا يُسمح للهواء بالمرور إلى الحلق الا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة(١٠٩).

وقد أرجع الدكتور حسام النعيمي سبب اختلاف علماء العربية القدامى والمحدثين في وصف الهمزة من حيث الجهر والهمس إلى الاختلاف في طريقة نطق العرب القدامى للهمزة عن طريقة نطق المحدثين لها كما حدث مع صوتي ((القاف))، و((الطاء)) حينما وصفها القدامى بالجهر ووصفها المحدثون بالهمس(١١٠).

في حين نرى أحد الباحثين يرى انه لا يوجد اختلاف في صفة الهمزة بين علماء العربية القدامى والمحدثين بل حتى بين المحدثين أنفسهم إنما الاختلاف في تحديد مفهوم الجهر والهمس، فالهمزة بضابط ((جريان النفس وعدمه)) مجهورة؛ لأن النفس لا يجري معها، وبضابط ((إهتزاز الوترين وعدم الاهتزاز)) مهموسة؛ لأن الوترين لا يهتزان معها. وبضابط)(إقتراب الوترين مع الذبذبة وانفتاح الوترين مع عدم الذبذبة لا مجهورة ولا مهموسة؛ لأن الوترين يقتربان ولا تحدث الذبذبة(١١١). وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

الخاتمة

مما تقدم يتضح أنَّ (الهمزة) حرفٌ مستقلٌ في الأبجدية العربية، وإنه لا يرادف الألف بل إن (الألف) حرفُ و(الهمزة) حرفٌ. وان الهمزة على النقيض تماما مع الألف من حيث المخرج ومن حيث الصفات.

وإنَّ للهمزة رمزاً خاصاً بها منذ الوهلة الأولى التي عُرِفَ بها هذا الصوت. وإنَّ القول بانه حرفُ ظهر متأخراً أو انه لم يكن ذا رمزٍ خاصٍ به هو قول فيه خطورة كبيرة ولا سيما أنه يلغي ـ أصلاً ـ وجود حرفٍ في العربية ملتسق بنظامها الصوتي والصرفي ومندرج في أبجديتها التي تنطلق أساساً من الهمزة نفسها فضلاً عن أنه أُستُعْمِلَ في القرآن الكريم وفي شعر العرب ونظمهم.

ومن ثمَّ فإن علماء العربية لم يختلفوا في تحديد صفة الهمزة من حيث الجهر والهمس وإنما اختلفوا في تحديد مفهوم الجهر والهمس.

فعلماء العربية القدامى عدَّوا الهمزة مجهورة؛ لأنَّ الهمزة عندهم ترادف الألف، والألف صوت انطلاقي مجهور ولأن ضابط الجهر عندهم جريان النفس عند النطق بالحرف، ولمَّا كانت الهمزة صوت لا يمكن معه جري النفس؛ لأنه يتكون أصلا من سدٍّ مجرى النفس ثم انفتاحه فجأة في الحنجرة.

ولمَّا كان ضابط الهمس عند المحدثين يتعلق باهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بالحرف، لذا عدَّت الهمزة عندهم صوتا مهموسا؛ وذلك لأن الوترين الصوتيين لا يهتزان معها.

أما من كان ضابط (الجهر والهمس) عندهم هو اقتراب الوترين الصوتيين مع تذبذبهما هذا في ما يخص (الجهر) أما (الهمس) عندهم فهو انفتاح الوترين الصوتيين من دون تذبذب فإن الهمزة عندهم تكون لا مجهورة ولا مهموسة؛ لأن الوترين يقتربان عند النطق بها ولكن لا تحدث ذبذبة فيهما.

الهوامش :

---

[١] كتاب الكتاب، ابن درستويه:٣٧.

[٢] ينظر: بحث علاقة الألف بالهمزة في العربية، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة لغة الضاد، مطبعة المجمع العلمي، بغداد : ٥١.

[٣] البحث نفسه: ٥١.

[٤] ينظر: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الاموي، د. صلاح الدين المنجد: ١٤.

[٥] ينظر: ميزان الألف العربية، أحمد رزقة: ١٤.

[٦] البحث نفسه: ١٥.

[٧] ينظر البحث نفسه: ١٦.

[٨] الفهرست، ابن النديم: ٩٠.

[٩] المصدر نفسه: ٨٢.

[١٠] المصدر نفسه: ٦٨.

[١١] المصدر نفسه: ٩٢.

[١٢] المصدر نفسه: ٦٩.

[١٣] نشره ابو محفوظ الكريم معصومي بعنوان (كتاب شرح الألفات) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٣٤، الجزء الثاني والثالث.

[١٤] نشره د.علي حسين البواب في مجلة المورد ، المجلد الحادي عشر ، ١٩٨٢م، الاعداد: ٣،٢،١. ونشر د. البواب أيضا (كتاب التمييز في معرفة اقسام الألفات)، لمحمد بن احمد بن داوود، في مجلة البحوث الاسلامية: العدد ١٨، ثم طبع في كتاب مستقل سنة ١٤٠٩هـ.

[١٥] الألفات ومعرفة اصولها، ابي عمرو عثمان بن سعيد الداني .

[١٦] دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر: ١٩.

[١٧] الخط العربي.. والرسم القرآني، د. كاصد ياسر الزيدي،مجلة لغة الضاد، منشورات المجمع العلمي، ٢٠٠١م.

[١٨] همع الهوامع، السيوطي: ٢٢٨/٢.

[١٩] سر صناعة الاعراب، ابن جني:٤٦/١، وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ١٤٦/١٠.

[٢٠] ينظر: سر صناعة الاعراب: ٤٨/١.

[٢١] ينظر: دراسات في علم اللغة: ٢١.

[٢٢] ينظر: سر صناعة الاعراب: ١/ ٤٦، ٨٤.

[٢٣] ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٦.

[٢٤] ينظر: المصدر نفسه: ٤٦/١.

[٢٥] كتاب الألفات، ابن خالويه، مجلة المورد، المجلد الحادي عشر، الاعداد: الأول والثاني والثالث: ١.

[٢٦] الألفات ومعرفة أولها: الورقة: ٤٢.

[٢٧] المصدر نفسه: ٣٤١، ٣٤٢.

[٢٨] المصدر نفسه: ٣٤١.

[٢٩] شرح شافية ابن الحاجب، الرضي: ٣/ ٧٢٠.

[٣٠] دراسات في علم اللغة: ١٩.

[٣١] المرجع نفسه: ١٩.

[٣٢] المرجع نفسه:١٩.

[٣٣] ينظر: المرجع نفسه: ٢٠ وما بعدها إلى ٢٨.

[٣٤] سر صناعة العراب: ٤٧/١.

[٣٥] تاريخ الادب أو حياة اللغة العربية ، حفني ناصف: ٢٨.

[٣٦] ينظر: المرجع نفسه: ٤٠ ـ ٤٣.

---

(٣٧) سر صناعة الاعراب :٤٦/١.

(٣٨) داراسات في علم اللغة:٢٠.

(٣٩) ينظر: الحرف العربي والتحديات، د. أحمد مطلوب: ٥ وما بعدها.

(٤٠) ينظر: رسم المصحف وأثره في دراسة تاريخ العربية، بحث نشر في منشورات المجمع العلمي، لغة الضاد: ج ٥، د. عبد الله الجبوري.٩٣

(٤١) ينظر: الخط العربي والرسم لقرآني ، بحث نشر في منشورات المجمع العلمي، لغة الضاد: ج ٥، د. كاصد الزيدي:١١٠.

(٤٢) اللغات السامية، ولفنسون: ١٤٧.

(٤٣) ينظر: المقتضب: ٣٢٨/١

(٤٤) ينظر: كتاب الكتاب: ٢٤.

(٤٥) ينظر: تهذيب اللغة، الازهري: مادة الألف.

(٤٦) الاصوات اللغوية، ابراهيم انيس:٧٧.

(٤٧) المرجع نفسه:٧٨.

(٤٨) ينظر: الخط العربي، نشأته وتطوره، مشكلاته، دعوات اصلاحه، د.أميل بديع يعقوب: ١٠٤.

(٤٩) دراسات في علم اللغة:٣٠.

(٥٠) المرجع نفسه:٣٠.

(٥١) المرجع نفسه:٣٠.

(٥٢) ينظر: دراسات في علم اللغة:٣٠.

(٥٣) دراسات في علم اصوات العربية: ٣٠- ٣١.

(٥٤) ينظر: علاقة الألف بالهمزة في العربية:٤٨.

(٥٥) ينظر: الوجيز، الانطاكي:١٤٧، و: بحث بعنوان الهمزة، مجلة كلية الاداب، القاهرة، عدد ١،عام ١٩٨٦،الباحث: فؤاد حسنين: ١٢٩-١٣٨ .

(٥٦) علاقة الألف بالهمزة في العربية:٤٨.

(٥٧) دروس في علم أصزات العربية:١٢١- ١٢٢.

(٥٨) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين: ١٧.

(٥٩) اللسان/ ابن منظور: مادة همز : ٥/ ٤٢٦.

(٦٠) ينظر: الهمزة : مشكلاتها وعلاجها، د. شوقي النجار: ٢٣- ٤٢، و: علاقة الألف بالهمزة في العربية:٥٠- ٦٥.

(٦١) مبدأ ظهور الحروف العربيه وتطورهالغاية الفرن الاول الهجري ،اسامه ناصر النقشبندي ، الهيئة العامه للاثار ص٨٦.

(٦٢) ينظر: علاقة الألف بالهمزة في العربية:٦١.

(٦٣) دراسات في علم اللغة :١٩.

(٦٤) ينظر: المحور الأول من بحثنا هذا.

(٦٥) ينظر: علاقة الألف بالهمزة في العربية: ٤٩.

(٦٦) ينظر: مبادئ اللسانيات، د. احمد محمد قدور:٩٣.

(٦٧) ينظر: المختصر في اصوات العربية: ٥٢.

(٦٨) ينظر: لعين: الخيل: ٥٨/١.

(٦٩) شرح المفصل، ابن يعيش: ١٠/ ١٢٤.

(٧٠) ينظر: الكتاب:٤٠٤/٢.

(٧١) ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١٩٨/١.

(٧٢) ينظر: اسباب حدوث الحروف، ابن سينا:

(٧٣) دروس في علم اصوات العربية: ١٢٣.

---

[٧٤] علم اللغة العام ـ الاصوات ـ ، د.كمال بشر:١١٣.

[٧٥] المرجع نفسه: ١١٣.

[٧٦] المرجع نفسه:١١٣.

[٧٧] ينظر: الكتاب:

[٧٨] المزهر، السيوطي:٩٠/١.

[٧٩] ينظر: علم اللغة،د. محمود السعران:١٧١.

[٨٠] علم اللغة العام ، الاصوات:١١٤.

[٨١] المرجع نفسه:١١٤.

[٨٢] الاصوات اللغوية: ٧٤

[٨٣] ينظرك المختصر في اصوات اللغة العربية: ٧٤.

[٨٤] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام النعيمي:

[٨٥] الأشموني: ٤/ ١٩١و ١٩٢.

[٨٦] ينظر: الكتاب: ٤٣٤/٤، و: سر صناعة الاعراب:٨٣/١، و: شرح المفصل: ٥٢٢/٥.

[٨٧] ينظر: General phonetıes 125

[٨٨] ينظر: دروس في علم اصوات العربية: ١٢٣.

[٨٩] ينظر: مناهج البحث في اللغة:٧٩.

[٩٠] ينظر: اصوات اللغة: ١٨٣.

[٩١] ينظر: An outlıne of Englısh phonetıcs 138

[٩٢] ينظر: الاصوات اللغوية: ٧٨، و: علم اللغة العام، ١٤٢، و: علم اللغة ، السعران:١٧١.

[٩٣] القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٢٤.

[٩٤] المرجع نفسه: ٢٤.

[٩٥] القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٢٤.

[٩٦] كتاب سيبويه:٤٣٤/٤.

[٩٧] سر صناعة الاعراب:٦٩/١.

[٩٨] ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٣١٣.

[٩٩] ينظر: علم اللغة ،الاصوات: ١١٣.

[١٠٠] المرجع نفسه:١١٣.

[١٠١] المرجع نفسه:١١٥.

[١٠٢] دروس في علم اصوات العربية:٢٥.

[١٠٣] المرجع نفسه: ٢٥.

[١٠٤] ينظر: مناهج البحث في اللغة: ٧٩.

[١٠٥] ينظر: دروس في علم اصوات العربية: ،و: مناهج البحث في اللغة: ٧٩، أصوات اللغة (ايوب): ١٨٣.

[١٠٦] علم اللغة العام ، الاصوات:١١٢.

[١٠٧] المرجع نفسه: ١١٢.

[١٠٨] المرجع نفسه:١١٢.

[١٠٩] ينظر: الاصوات اللغوية :٧٨،و: علم اللغة العام، الصوات ١١٢، و: علم اللغة (السعران):١٧١.

[١١٠] ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عن ابن جني: ٣١٤ـ ٣١٥.

[١١١] ينظر: أثر القراءات القرآنية في توجيه المعنى في آيات الاحكام ، رسالة ماجستير في حامعة الكوفة، كلية الآداب: ٢٠٠٩م، للباحث حكيم سلمان كريدي: ٣٥ـ ٣٦.

ثبت المصادر:

١. القرآن الكريم.

٢. أثر القراءات القرآنية في توجيه المعنى في آيات الأحكام، حكيم سلمان كريدي، وهي رسالة ماجستير بإشراف أ.د.عبد الكاظم محسن الياسري، كلية الآداب/ جامعة الكوفة:٢٠٠٩ م.

٣. أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، الرئيس ابوعلي الحسين (ت٤٢٨هـ)، صححه :محب الدين الخطيب، القاهرة/١٣٣٢هـ.

٤. أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، مصر،١٩٦٣م.

٥. الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٩م.

٦. الألفات ومعرفة أصولها، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د.غانم قدوري الحمد، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الأول، ١٤٢٧هـ.

٧. تاريخ الأدب أو حياة اللغة، حفني ناصف، مطبعة جامعة القاهرة، ط: ٢، ١٩٥٨م.

٨. تاريخ اللغات السامية، ولفنسون، ط:١/ دار القلم/ بيروت/١٩٨٠م.

٩. التمييز في معرفة اقسام الألفات ، لمحمد بن احمد بن داود، نشر في مجلة البحوث الإسلامية، عدد :١٨، ثم طبع في متاب مستقل: ١٤٠٩هـ.

١٠. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن احمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب و آخران، مط: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: الأولى /١٩٩٠ م

١١. الخط العربي والرسم القرآني، د.كاصد ياسر الزيدي، بحث منشور في مجلة لغة الضاد، ج:٥، منشورات المجمع العلمي:٢٠٠١م.

١٢. الخط العربي، نشأته وتطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه: د. أميل بديع يعقوب، ط: لبنان/ ١٩٨٦م.

١٣. دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بديته إلى نهاية العصر الأموي، د. صلاح الدين المنجد، مط: دار الكتاب الجديد/ بيروت /١٩٧٢م.

١٤. دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/١٩٩٨م.

١٥. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر/١٩٨٠م.

١٦. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينيو، نقله إلى العربية: صلاح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية: تونس: ١٩٦٦م.

١٧. رسم المصحف وأثره في دراسة تاريخ العربية،د. عبد الله الجبوري، مجلة لغة الضاد، ج:٥، منشورات المجمع العلمي/ ٢٠٠١م.

١٨. سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني(ت٣٩٥هـ)، تح: محمد هنداوي، مط: دار القلم، دمشق، ط: ١٩٨٥/١م.

١٩. شرح شافية ابن الحجب، محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، تح: محمد محيي الدين وآخرون، مط:دار الكتب العلمية /بيروت.

٢٠. شرح المفصل للزمخشري، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، المطبعة المنبرية – مصر

٢١. علاقة الألف بالهمزة في العربية، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ، مجلة لغة الضاد، ج:٥، منشورات المجمع العلمي/ ٢٠٠١م.

٢٢. علم اللغة العام، الأصوات، د. كمال محمد بشر، دار المعارف/مصر/١٩٧٥م.

٢٣. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران/ط: مصر/ ١٩٦٢م.

٢٤. العين (معجم لغوي)، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مط: مؤسسة دار الهجرة ، ط: الثانية/٢٠٠١ م.

٢٥. الفهرس، ابن النديم، المكتبة التجارية الكبرى، مط: الرحمانية مصر.

٢٦. كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ(سيبويه)(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مط: دار الجيل – بيروت، مط: الأولى.

٢٧. كتاب الألفات، تحقيق،د. علي حسين النواب، مجلة المورد، مجلد:١١، عدد: ١،٢/ ١٩٨٢م.

٢٨. كتاب شرح الألفات، لأبي محفوظ الكريم معصومي، وهو شرح لـ (كتاب الألفات) الذي ألفه: أبو البركات محمد بم القاسم الأنباري(ت٣٢٨هـ) ونشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلد: ٣٤، ج:٢.

٢٩. كتاب الكتاب، ابن درستويه(ت٣٤٧هـ)، تح: د. ابراهيم السامرائي ود. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت/ ١٩٧٧م.

٣٠. مبادئ اللسانيات، د. احمد محمد قدوري، مط: دار الفكر: دمشق/ ط: ٣/ ٢٠٠٨م.

٣١. المختصر في أصوات اللغة دراسة نظرية وتطبيقية، أ.د. محمد حسن جبل، مكتبة الأدب، القاهرة، ط: ٤/ ٢٠٠٦م.

٣٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، مط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى/١٩٩٨ م.

٣٣. المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مط: عالم الكتب – بيروت.

٣٤. مناهج البحث في اللغة، لدكتور تمام حسان، مط: دار الثقافة، ودار المحجة البيضاء، ط: الثانية /١٩٧٤ م.

٣٥. من مباحث الهمزة في العربية، د. عبد الحليم علي محمد النجار، مجلة كلية الآداب المصرية، مجلد:٢١، ج:١/ مط: جامعة القاهرة/١٩٦٣م.

٣٦. ميزان الألف العربية، الباحث: أحمد رزقه، ط: ١/١٩٩٠م.

٣٧. النشر في القراءات العشر، للإمام أحمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري(ت٨٣٣ هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، مط: دار الكتب العلمية – بيروت ،ط:الثالثة /٢٠٠٦ م .

٣٨. الهمزة: الباحث: فؤاد حسنين، بحث منشور في مجلة كلية الآداب المصرية/ عدد: ١/١٩٤٦م.

٣٩. الهمزة مشكلاتها وعلاجها، د. شوقي النجار، دار الرفاعي/ السعودية/ ١٩٨٤م.

٤٠. الوجيز، الانطاكي: دار الشرق، حلب/ ١٩٦٩م.